أليس فى بلاد الأعاجيب

Alice in the Wonderland

٥ — بين المجانين

وَنَظَرَتْ أَلِيسُ حَوْلَهَا فَرَأَتْ عَلَى بُعْدٍ مِنْهَا مَنْزِلاً صَغِيرًا يَزِيدُ ارْتِفَاعُهُ عَلَى المِتْرِ بِقَلِيلٍ . فَقَامَتْ وَسَارَتْ نَحْوَهُ ، وَرَأَتْ أَنْ تُصَغِّرَ حَجْمَهَا حَتَّى لَا يَخْشَاهَا سُكَّانُ المَنْزِلِ ، فَأَكَلَتْ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِمَّا فِي يَدِهَا اليُمْنَى مِنَ العُرْهُونِ ، حَتَّى صَغُرَتْ وَأَصْبَحَتْ فِي طُولِ قَلَمِ الرَّصَاصِ . ثُمَّ وَقَفَتْ مُخْتَفِيَةً وَرَاءَ شَجَرَةٍ ، تَنْظُرُ إِلَى المَنْزِلِ وَهِيَ تُفَكِّرُ فِيمَا تَصْنَعُ ، وَإِذَا بِخَادِمٍ فِي رِدَاءٍ رَسْمِيٍّ قَدْ جَاءَ مِنَ الغَابَةِ يَجْرِي ، وَأَخَذَ يَطْرُقُ بَابَ المَنْزِلِ بِيَدِهِ بِعُنْفٍ شَدِيدٍ . وَسَرْعَانَ مَا فَتَحَ البَابَ خَادِمٌ آخَرُ فِي رِدَاءٍ رَسْمِيٍّ أَيْضًا .

وَتَوَلَّى أَلِيسَ الدَّهَشُ حِينَ تَأَمَّلَتْ فِي وَجْهِ الخَادِمَيْنِ فَقَدْ كَانَ رَأْسُ الخَادِمِ القَادِمِ كَرَأْسِ السَّمَكَةِ ، وَرَأْسُ الخَادِمِ الآخَرِ كَرَأْسِ الضُّفْدَعِ ، وَلِكِلَيْهِمَا شَعْرٌ طَوِيلٌ ، مُجَعَّدٌ وَمَصْفُوفٌ بِنِظَامٍ ، وَمَكْسُوٌّ بِطَبَقَةٍ مِنْ مَسْحُوقٍ أَبْيَضَ ، مِمَّا أَكْسَبَهُمَا شَيْئًا مِنَ الهَيْبَةِ وَالوَقَارِ . ثُمَّ اقْتَرَبَتْ أَلِيسُ قَلِيلاً ، لِتَرَى مَا يَحْدُثُ بَيْنَ الخَادِمَيْنِ ، وَلِتَسْمَعَ مَا يَقُولَانِ ، فَرَأَتِ الخَادِمَ السَّمَكَةَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ ظَرْفًا كَبِيرًا ، وَسَلَّمَهُ إِلَى الخَادِمِ الضُّفْدَعِ ، وَقَالَ بِنَغْمَةٍ جِدِّيَّةٍ لِلْغَايَةِ : « هٰذِهِ دَعْوَةٌ مِنَ المَلِكَةِ إِلَى الأَمِيرَةِ لِحُضُورِ حَفْلِ الكُرَةِ

وأخرج الخادم السمكة ظرفاً كبيراً وسلمه إلى الخادم الضفدع .

وَالصَّوْلَجَانِ . » وَانْحَنَى الِاثْنَانِ بِبُطْءٍ حَتَّى مَسَّ رَأْسُ كُلٍّ مِنْهُمَا رَأْسَ الآخَرِ ، فَاشْتَبَكَ شَعْرُهُمَا . فَلَمْ تَتَمَالَكْ أَلِيسُ نَفْسَهَا مِنَ الضَّحِكِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، مَضَى الخَادِمُ السَّمَكَةُ ، وَجَلَسَ الخَادِمُ الضُّفْدَعُ عَلَى عَتَبَةِ البَابِ ، يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ كَالمَذْهُولِ ، فَتَقَدَّمَتْ أَلِيسُ نَحْوَ البَابِ وَطَرَقَتْهُ .

وَعَلَى حِينِ فُجَاءَةٍ فُتِحَ الْبَابُ ، وَرَأَتْ أَلِيسُ صَحْنًا كَبِيرًا قَدْ قُذِفَ مِنْهُ ، فَكَشَطَ أَنْفَ الْخَادِمِ ، ثُمَّ صَدَمَ شَجَرَةً مُجَاوِرَةً وَتَهَشَّمَ ، وَالْخَادِمُ جَالِسٌ ، لاَ يَتَحَرَّكُ ، يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ .

وَتَرَدَّدَتْ أَلِيسُ بُرْهَةً ، ثُمَّ دَخَلَتِ الْمَنْزِلَ ، فَوَجَدَتْ أَمَامَهَا مُبَاشَرَةً مَطْبَخًا كَبِيرًا ، يَمْلَأُ الدُّخَانُ كُلَّ أَرْجَائِهِ . وَرَأَتِ الْأَمِيرَةَ جَالِسَةً فِي وَسَطِهِ عَلَى مَقْعَدٍ وَاطِئٍ ، تُدَلِّلُ طِفْلاً فِي حِجْرِهَا ، وَالطَّاهِيَةَ وَاقِفَةً عِنْدَ الْمَوْقِدِ ، تُحَرِّكُ قِدْرًا مَمْلُوءًا بِالْحَسَاءِ . وَكَانَ جَوُّ الْمَطْبَخِ مَمْلُوءًا بِالدُّخَانِ وَرَائِحَةِ الْفُلْفُلِ ، فَأَخَذَتْ أَلِيسُ تَعْطِسُ ، وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ تَعْطِسُ ، وَالطِّفْلُ يَصْرُخُ وَيَعْطِسُ بِاسْتِمْرَارٍ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنَ الْعَطَسِ سِوَى الطَّاهِيَةِ ، وَقِطَّةٍ جَالِسَةٍ بِجِوَارِ الْمَوْقِدِ ، وَاسِعَةِ الْفَمِ ، مُكَشِّرَةٍ كَالْكَلْبِ الْغَاضِبِ . فَقَالَتْ أَلِيسُ لِلْأَمِيرَةِ : « مَا أَعْجَبَ هٰذِهِ الْقِطَّةَ !! فَإِنِّي لَمْ أَرَ فِي حَيَاتِي قِطَّةً وَاسِعَةَ الْفَمِ تَكْشِرُ هٰكَذَا ! » فَأَجَابَتْهَا الْأَمِيرَةُ : « لَوْلاَ تَدَخُّلُ النَّاسِ فِي شُئُونِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا لَسَارَتْ أُمُورُ الدُّنْيَا بِأَسْرَعَ مِمَّا تَسِيرُ ! »

أَلِيسُ : « لٰكِنَّنَا لاَ نُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ الدُّنْيَا بِأَسْرَعَ مِمَّا تَسِيرُ ، لِأَنَّهَا تَدُورُ الآنَ حَوْلَ مِحْوَرِهَا ، مَرَّةً فِي كُلِّ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً ، فَلَوْ أَسْرَعَتْ ، لاَخْتَلَّ طُولُ اللَّيْلِ وَطُولُ النَّهَارِ . »

الْأَمِيرَةُ : « أَنَا لاَ أَهْتَمُّ بِالْأَرْضِ وَدَوَرَانِهَا وَمِحْوَرِهَا . وَلاَ أَتَدَخَّلُ فِي شُئُونِ غَيْرِي . » ثُمَّ جَعَلَتِ الْأَمِيرَةُ تُغَنِّي لِلطِّفْلِ أُغْنِيَةً غَرِيبَةً . وَهُنَا هَاجَتِ الطَّاهِيَةُ ، وَأَنْزَلَتِ الْقِدْرَ مِنْ فَوْقِ الْمَوْقِدِ ، وَأَخَذَتْ تَقْذِفُ بِكُلِّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُهَا ، مِنْ صُحُونٍ وَأَطْبَاقٍ وَأَوَانٍ وَمَلاَعِقَ وَغَيْرِهَا ، نَحْوَ الْأَمِيرَةِ وَالطِّفْلِ ، وَالْأَمِيرَةُ مُسْتَمِرَّةٌ فِي الْغِنَاءِ ، لاَ تَهْتَمُّ بِشَيْءٍ مِمَّا يَحْدُثُ . فَصَاحَتْ أَلِيسُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : « كَفَى ، كَفَى !! إِنَّكُمْ تَقْتُلُونَ طِفْلاً بَرِيئًا مِسْكِينًا !! » فَهَدَأَتِ الطَّاهِيَةُ ، وَوَقَفَتِ الْأَمِيرَةُ ، ثُمَّ اقْتَرَبَتْ مِنْ أَلِيسَ ، وَقَالَتْ لَهَا : « إِذَا كُنْتِ تُشْفِقِينَ عَلَى الطِّفْلِ حَقًّا ، فَخُذِيهِ وَدَلِّلِيهِ كَمَا تُرِيدِينَ . »

ورأت أليس على إحدى الأشجار القطة العجيبة المكشرة .

وَسَلَّمَتْ أَلِيسُ الطِّفْلَ ، وَخَرَجَتْ بِهِ إِلَى الْغَابَةِ ، وَالطِّفْلُ يَصْرُخُ ، وَيَرْتَجُّ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا ، وَهِيَ تُغَنِّي لَهُ : « نَمْ

يَا عَزِيزِى نَمْ . » وَإِذَا بِهِ يَغِطُّ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ . فَقَالَتْ لَهُ : « لَا تُحْدِثْ يَا عَزِيزِى هٰذَا الشَّخِيرَ كَالْخِنْزِيرِ . نَمْ يَاعَزِيزِى نَمْ . » وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ اسْتَمَرَّ فِى الشَّخِيرِ بِشِدَّةٍ ، وَأَلِيسُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ مَدْهُوشَةً ، وَإِذَا بِهَا تَرَاهُ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى خِنْزِيرٍ صَغِيرٍ ، فَأَنْزَلَتْهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَجَرَى مُبْتَهِجًا بَيْنَ الْحَشَائِشِ .

وَسَارَتْ أَلِيسُ تَتَأَمَّلُ الْأَشْجَارَ وَالْأَزْهَارَ . وَتُفَكِّرُ فِى أَىِّ الطُّرُقِ تَسِيرُ ، وَإِذَا بِهَا تَرَى ، عَلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ ، الْقِطَّةَ الْعَجِيبَةَ ، مُكَشِّرَةً عَنْ أَنْيَابِهَا كَعَادَتِهَا . فَحَيَّتْهَا أَلِيسُ وَقَالَتْ لَهَا : « خَبِّرِينِى يَا قِطَّتِى الْعَجِيبَةَ . فِى أَىِّ اتِّجَاهٍ أَسِيرُ ؟ »

الْقِطَّةُ : « عَلَى يَمِينِكِ يَعِيشُ الْأَرْنَبُ الْخَرِفُ ، وَعَلَى يَسَارِكِ يَعِيشُ صَانِعُ الْقُبَّعَاتِ الْمَهُوَّسُ ، فَاذْهَبِى لِمَنْ شِئْتِ ، فَكِلَاهُمَا مَجْنُونٌ . »

أَلِيسُ : « وَلٰكِنِّى لَا أُرِيدُ زِيَارَةَ الْمَجَانِينِ . »

الْقِطَّةُ : « كُلُّنَا مَجَانِينُ . فَأَنْتِ مَجْنُونَةٌ ، وَأَنَا مَجْنُونَةٌ ، وَالْكُلُّ مَجْنُونٌ . »

أَلِيسُ : « كَيْفَ تَقُولِينَ إِنِّى مَجْنُونَةٌ ؟ »

الْقِطَّةُ : « لَا بُدَّ أَنَّكِ مَجْنُونَةٌ ، وَإِلَّا لَمَا جِئْتِ إِلَى هُنَا . »

ورأت أليس الأرنب وصاحب القبعات جالسين وبينهما فأر صغير نائم مستندان عليه كأنه مسند

أَلِيسُ : « وَلِمَاذَا أَنْتِ مَجْنُونَةٌ ؟ »

الْقِطَّةُ : « لِأَنِّى أُكَشِّرُ إِذَا فَرِحْتُ . »

ثُمَّ اخْتَفَتِ الْقِطَّةُ وَظَهَرَتْ بَعْدَ قَلِيلٍ . وَقَالَتْ : « إِذَا ذَهَبْتِ فِيمَا بَعْدُ إِلَى حَفْلِ الْمَلِكَةِ وَجَدْتِينِى هُنَاكَ . فَإِلَى اللِّقَاءِ . »

وَسَارَتْ أَلِيسُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَنْزِلِ الْأَرْنَبِ ، فَوَجَدَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُجَاوِرَةٍ ، مِنْضَدَةً كَبِيرَةً ، مُجَهَّزَةً (بِفَنَاجِينَ) عَدِيدَةٍ

وَأَدَوَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَدَوَاتِ الشَّاي ، وَرَأَتِ الأَرْنَبَ وَصَانِعَ الْقُبَّعَاتِ جَالِسَيْنِ عِنْدَ رُكْنٍ مِنْهَا وَبَيْنَهُمَا فَأْرٌ صَغِيرٌ نَائِمٌ ، يَسْتَنِدَانِ عَلَيْهِ كَمَا يَسْتَنِدَانِ عَلَى مِسْنَدٍ . وَتَقَدَّمَتْ أَلِيسُ بِجُرْأَةٍ ، وَجَلَسَتْ عَلَى كُرْسِيٍّ كَبِيرٍ فِي صَدْرِ الْمَائِدَةِ . فَلَمَّا رَآهَا الأَرْنَبُ وَالصَّانِعُ صَاحَا : « لاَ مَكَانَ لَكِ هُنَا ! قُومِي ! لاَ مَكَانَ لَكِ عِنْدَنَا ! »

أَلِيسُ : « الْمَكَانُ وَاسِعٌ . أَمِنَ اللِّيَاقَةِ أَنْ تَطْرُدَا زَائِرَةً . »

الأَرْنَبُ : « وَهَلْ مِنَ اللِّيَاقَةِ أَنْ تَجْلِسِي عَلَى الْمَائِدَةِ بِدُونِ دَعْوَةٍ أَوِ اسْتِئْذَانٍ ؟ »

أَلِيسُ : « لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّهَا مَائِدَتُكَ وَحْدَكَ فَإِنِّي أَرَاهَا مُجَهَّزَةً لِعَدَدٍ كَبِيرٍ » .

صَانِعُ الْقُبَّعَاتِ : « شَعْرُكِ طَوِيلٌ يَحْتَاجُ إِلَى قَصٍّ . »

أَلِيسُ : « لَيْسَ مِنَ الأَدَبِ أَنْ تَنْتَقِدَ الْغَيْرَ . »

وَصَمَتَ الْجَمِيعُ بُرْهَةً ، ثُمَّ أَخْرَجَ صَانِعُ الْقُبَّعَاتِ سَاعَتَهُ مِنْ جَيْبِهِ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَيَهُزُّهَا ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَسَأَلَ أَلِيسَ : « فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ نَحْنُ ؟ » . فَأَجَابَتْهُ أَلِيسُ : « نَحْنُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ . »

الصَّانِعُ : « سَاعَتِي مُؤَخِّرَةٌ يَوْمَيْنِ . » ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الأَرْنَبِ وَقَالَ : « أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنَّ الزُّبْدَ لاَ يَصْلُحُ لِلسَّاعَاتِ ؟ »

الأَرْنَبُ : « لَقَدْ كَانَ أَحْسَنَ زُبْدٍ مَوْجُودٍ . » ثُمَّ أَخَذَ السَّاعَةَ مِنَ الصَّانِعِ وَغَمَسَهَا فِي (فِنْجَانِ) الشَّايِ السَّاخِنِ ، وَأَخْرَجَهَا ، ثُمَّ أَعَادَهَا لِلصَّانِعِ قَائِلاً : « هَاهِيَ قَدْ دَارَتْ . »

وَدُهِشَتْ أَلِيسُ وَنَظَرَتْ إِلَى السَّاعَةِ ، فَوَجَدَتْ بِهَا مُشِيرًا (عَقْرَبًا) يُبَيِّنُ الأَيَّامَ ، وَآخَرَ وَاقِفًا عَلَى السَّاعَةِ السَّادِسَةِ لاَ يَتَحَرَّكُ . فَقَالَتْ لِلصَّانِعِ : « إِنَّ هٰذِهِ سَاعَةٌ عَجِيبَةٌ ، أَلاَ تُبَيِّنُ الْوَقْتَ بِالسَّاعَةِ وَالدَّقِيقَةِ ؟ »

الصَّانِعُ : « لاَ . لَقَدْ حَكَمْتُ مَلِكَتُنَا مَرَّةً عَلَى أَحَدِ رَعَايَاهَا بِالْقَتْلِ ، لأَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ الْوَقْتَ ، فَصَنَعْنَا هٰذِهِ السَّاعَةَ ، حَتَّى لاَ نَرَى الْوَقْتَ وَلاَ نَقْتُلُهُ ، وَوَقَفْنَا (عَقْرَبَ) السَّاعَاتِ عَلَى السَّادِسَةِ . وَلَمَّا كَانَ هٰذَا هُوَ وَقْتُ تَنَاوُلِ الشَّايِ ، فَنَحْنُ لاَ نَتَنَاوَلُ غَيْرَ الشَّايِ بِاسْتِمْرَارٍ ، لأَنَّ مَوْعِدَ الْفُطُورِ وَالْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ لاَ يَجِيءُ فِي سَاعَتِنَا . »

وَصَمَتَ الْجَمِيعُ مَرَّةً أُخْرَى ، ثُمَّ نَظَرَ الصَّانِعُ إِلَى الْفَأْرِ . وَقَالَ لَهُ : « اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ » . ثُمَّ أَخَذَ يُغَنِّي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، فَغَنَّى مَعَهُ الْفَأْرُ ، وَهُوَ يَغِطُّ فِي نَوْمِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَيْقِظُ تَدْرِيجًا وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ . وَكَانَ صَوْتُهُ رَفِيعًا مُزْعِجًا تَضَايَقَ مِنْهُ الصَّانِعُ وَالأَرْنَبُ . فَوَقَفَا فَجَاءَةً وَأَمْسَكَا بِهِ ، وَأَخَذَا يَدْفَعَانِهِ فِي إِبْرِيقِ الشَّايِ .

وَهُنَا لَمْ تُطِقْ أَلِيسُ صَبْرًا عَلَى الْبَقَاءِ فَانْصَرَفَتْ .